الآداب المعنوية للصلاة، الإمام الخميني: في نبذة من آداب لباس المصلى ـــ الفصل الثاني

الآداب المعنوية للصلاة، الإمام الخميني: في نبذة من آداب لباس المصلى ـــ الفصل الثاني

الفصل الثاني

في الاعتبارات القلبية لستر العورة

(قال الشهيد قدّس سرّه : " واما ستر العورة فاعلم أن معناه تغطية مقابح بدنك عن أبصار الخلق فإن ظاهر بدنك موقع نظر الخلق فما رأيك في عورات باطنك ومقابح سرّك التي لا يطلّع عليها الا ربك فاحضر تلك المقابح ببالك وطالب نفسك بسترها وتحقق أنه لا يستر عن عين الله تعالى ساتر وانما يسترها ويكفرها الندم والحياء والخوف فتستفيد باحضارها من مكانها في قلبك انبعاث جنود الخزف والحياء من مكانها فتذل به نفسك وتسكن تحت الخجلة وتقوم بين يدي الله قيام العبد المجرم المسيء الآبق ندم فرجع

إلى مولاه بانكسار رأسه من الحياء والخوف " .

اذا رأى السالك نفسه حاضرا في محضر الحق المقدس جلّ وعلا بل وجد باطنه وظاهره وسره وعلنه عين الحضور . كما روي عن الكافي والتوحيد أن الصادق عليه السلام قال: "ان روح المؤمن لأشدّ اتصالا بروح ا من اتصال شعاع الشمس بها " بل ثبت بالبرهان القوي المتين في العلوم العالية ان جميع دائرة الوجود من أعلى مراتب الغيب إلى أدنى مراتب الشهود هي عين التعلق والروابط ومحض التدلي والفقر إلى القيوم المطلق جلّت عظمته، ولعلة أشير إلى هذا المعنى في الآية المباركة: "يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى ا وا هو الغني الحميد " (فاطر 15) فاذا كان موجود من الموجودات في حال من الحالات وآن من الآناث وحيثيّة من الحيثيّات غير متعلّق بعزّ القدس الربوبي يخرج عن بقعة الامكان الذاتي والفقر ويدخل في حريم الوجوب الذاتي والغني ، وعلى العارف با والسالك إلى ا أن يكتب هذا المطلب الحق البرهاني وهذه اللطيفة الالهية العرفانية في لوح القلب بواسطة الرياضات القلبية ويخرجها من حد العقل والبرهان إلى حد العرفان حتى تتجلى في قلبه حقيقة الايمان ونوره، فان أصحاب القلب وأهل ا لا يقفون في حد الايمان بل يقدمون منه إلى منزل الكشف والشهود وهو يحصل بالمجاهدة الشديدة والخلوة مع ا والعشق ، كما في مصباح الشريعة أن الصادق عليه السلام قال: "العارف شخصه مع الخلق وقلبه مع ا لو سها قلبه عن ا طرفة عين لمات شوقا اليه، والعارف أمين ودائع ا وكنز أسراره ومعدن نوره ودليل رحمته على خلقه ومطية علومه وميزان فضله وعدله، قد غني عن الخلق والمراد والدنيا ولا مؤنس له سوى ا ولا نطق ولا اشارة ولا نفس الا با من ا مع ا".

وبالجملة إذا رأى السالك نفسه بجميع شؤونه عين الحضور يستر جميع عوراته الظاهرية والباطنية لحفظ المحضر وذلك اذ وجد أن كشف العورات الباطنية في محضر الحق أقبح وأفضح من كشف العورات الظاهرية بمقتضى الحديث " ان ا لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم " .. وهذه العورات الباطنية والذمائم الاخلاقية وخبائث العادات والاحوال الرديئة الخلقية هي التي تسقط الانسان عن لياقة المحضر وأدب الحضور وهذه هي المرتبة الأولى من هتك الستور وكشف العورات ، وليعلم ان الانسان ان لم يستر نفسه بحجاب الستارية والغفارية من الحق جلّ وعلا ولم يقع تحت اسم الستّار والغفار مع طلبة الغفارية والستارية . فبعد انطواء ساتر الملك وارتفاع حجاب الدنيا فربما تهتك ستوره في محضر الملائكة المقربين والانبياء المرسلين عليهم السلام ولا يعلم قباحة كشف تلك العورات الباطنية وفضاحتها ونتن سوى ا .

أيها العزيز لا تقس أوضاع عالم الآخرة بهذا العالم فإن هذا العالم لا يتسع لظهور نعمة من نعم ذاك العالم أو نقمة من نقماته ، هذا العالم مع ما فيه من سعة السموات والعوالم لا يتسع لظهور حجاب من

الحجب الملكوتية السفلى التي من جملتها عالم القبر فكيف بالملكوت الاعلى الذي يكون عالم القيامة أنموذجا منه . ففي الحديث المفصّل والذي رواه الشيخ الشهيد الثاني رضوان ا عليه في منية المريد عن الصديقة الكبرى سلام ا عليها قالت : " سمعت أبي صلى ا عليه وآله يقول: ان علماء شيعتنا يحشرون فيخلع عليهم من خلع الكرامات على قدر كثرة علومهم وجدّهم في ارشاد عباد ا حتى يخلع على الواحد منهم ألف ألف خلعة من نور .. إلى أن قالت عليها السلام : ان سلكا من تلك الخلع لأفضل مما طلعت عليه الشمس ألف ألف مرة" . هذا بالنسبة إلى النعيم ، وأما بالنسبة إلى العذاب فقد روى الفيض رحمه ا في العلم اليقين عن المرحوم الصدوق باسناده عن الصادق عليه السلام في ضمن حديث " ان جبريل عليه السلام قال لرسول ا صلى ا عليه وآله : فلو أن حلقة من السلسلة التي طولها سبعون ذراعا وضعت على الدنيا لذابت الدنيا من حرّها ولو أن قطرة من زقّومها وضريعها قطرت في مياه أهل الدنيا لمات أهلها من نتنها " نعوذ با من غضب الرحمن .

فيلزم على السالك إلى ا أن يبدّل أوصافه وأخلاقه السيّئة إلى الاوصاف والاخلاق الكاملة ويفنى في بحر الاوصاف الكمالية للحق ، هذا البحر المتلاطم غير المتناهي ويبدّل الارض المظلمة الشيطانية بأرض بيضاء مشرقة ويجد في نفسه " وأشرقت الارض بنور ربها " (الزمر 69) ويحقق في مملكة وجوده مقام اسماء الجمال والجلال للذات المقدسة فيقع في هذا المقام في ستر الجمال والجلال ويتخلّق بأخلاق ا ويستر مقابح التعينات النفسية والظلمات الوهمية فاذا تحقق هذا المقام يقع موردا للعنايات الخاصة للحق جلّ جلاله ويؤيده الحق بلطفه الخفيّ الخاص ويستره تحت حجاب كبريائه على نحو لا يعرفه غيره وهو أيضا لا يعرف غير الحق " ان أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري " وفي الكتاب المقدس الالهي اشارات كثيرة في هذا الموضوع لأهله كما في قوله تعالى : " ا ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور " (البقرة 257) ان أهل المعرفة وأصحاب السابقة الحسنى يعلمون أن جميع التعينات الخلقية والكثرات العينية ظلمات والنور المطلق لا يحصل الا بإسقاط الاضافات وكسر التعينات التي هي أصنام طريق السالك فاذا اضمحلت وانطمست ظلمات كثرات الفعلية والوصفية في عين الجمع تكون جميع العورات مستورة ويتحقق الحضور المطلق والوصول التام .

والمصلي في هذا المقام كما أنه مستور بالحق فهو مصلّ بصلاة الحق ولعل صلاة معراج خاتم الرسل صلى ا عليه وآله وسلم كانت بهذه الطريقة في بعض المقامات والمدارج ، وا العالم .

وصل: عن مصباح الشريعة : قال الصادق عليه السلام : " أزين اللباس للمؤمنين لباس التقوى وأنعمه الايمان " . قال ا عز وجل : " ولباس التقوى ذلك خير " (الأعراف 26) . وأما اللباس الظاهر فنعمة من ا يستر عورات بني آدم وهي كرامة أكرم ا بها عباده ذرية آدم لم يكرم غيرهم وهي للمؤمنين آلة

لأداء ما افترض ا عليهم وخير لباسك ما لا يشتغلك عن ا عزّ وجلّ بل يقرّبك من شكره وذكره وطاعته ولا يحملك فيها إلى العجب والرياء والتزين والمفاخرة والخيلاء فانها من آفات الدين وموروثة القسوة في القلب ، فاذا لبست ثوبك فاذكر ستر ا عليك ذنوبك برحمته والبس باطنك بالصدق كما ألبست ظاهرك بثوبك وليكن باطنك في ستر الرهبة وظاهرك في ستر الطاعة واعتبر بفضل ا عز وجل حيث خلق أسباب اللباس لتستر العورات الظاهرة وفتح أبواب التوبة والانابة لتستر بها عورات الباطن من الذنوب وأخلاق السوء (في الكافي باسناده إلى معاوية بن وهب قال : سمعت ابا عبدا عليه السلام يقول : "اذا تاب العبد توبة نصوحا أحبّه ا فستر ا عليه في الدنيا والاخرة ، فقلت : وكيف يستر عليه ؟ قال : يُنسي ملكيه ما كتبا عليه من الذنوب و (ثم خ ل) يوحي إلى جوارحه اكتمي عليه ذنوبه ويوحي إلى بقاع الارض اكتمي عليه ما كان يعمل عليك من الذنوب فيلقى ا حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب ") ولا تفضح أحدا حيث ستراه عليك أعظم منه (ان الستّارية من أوصاف اله تعالى وطوبى لعبد تخلّق بأخلاق ا .. وقد شدّد النكير في الروايات على من كان بصدد إفشاء عيب من أخيه المؤمن كما قال الصادق عليه السلام: "من أطلّع من مؤمن على ذنب أو سيئة فأفشى ذلك عليه ولم يكتمها ولم يستغفر ا له كان عند ا كعاملها وعليه وزر ذلك الذي أفشاه عليه وكان مغفورا لعاملها وكان عقابه ما أفشى عليه في الدنيا مستور عليه في الاخرة ثم يجد ا أكرم من أن يثنّي عليه عقابا في الاخرة " .

وقال عليه السلام: "من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروّته ليسقط من أعين الناس أخرجه ا من ولايته إلى ولاية الشيطان فلا يقبله الشيطان " . والروايات في ذلك أكثر من أن تذكر .

وذكر المحدّث القمّي في السفينة في مادة عيب عن سفيان بن عيينة ((* - ابن عيينه بضم عينه أبو محمد سفيان بن عيينه ابن ابي عمر ان الكوفي المكي تابعي التابعين كان جدّه أبو عمران من عمّال خالد بن عبدا القسري فلّما عزل خالد عن العراق وولى يوسف بن عمر طلب عمّال خالد فهرب منه إلى مكة فنزلها وولد سفيان سنة 107 ذكره الخطيب في تاريخه وأثنى عليه ، وقال : كان له في العلم قدر كبير ومحلّ خطير وأدرك نيّفاً وثمانين نفساً من التابعين وسمع ابن شهاب الزهري وعمرو بن دينار وابا اسحاق السبيعي ثم ذكر جماعة كثيرة من نظرائهم (انتهى) . وهو عندنا كسفيان الثوري وينقل منه بعض الكلمات الحكيمة التي ينبغي أخذها فان الحكمة ضالة المؤمن يأخذها حيث وجدها . حكي أنه كتب إلى أخ له : أما آن لك يا أخي ان تستوحش من الناس ولقد أدركنا الناس وهم اذا بلغ أحدهم أربعين سنة جن (أي ستر) عن معارفه وصار كأنه مختلط العقل من شدّة تأهّبه للموت وكان اذا أعطاه الناس شيئا قال أعطون لفلان فإنه أحوج مني .

وقال خصلتان يعسر علاجهما : الطمع فيما بأيدي الناس واخلاص العمل . ويقول : اذا كان نهاري نهار

سفيه وليلي ليل جاهل ماذا أصنع بالعلم الذي كتبت ؟ . توفّي في غرّة رجب سنة 198 (فصح) بمكة ودفن بالحجون بتقديم الحاء المهملة على الجيم موضع بمعلاة مكة ومعلاة مقبرة بها دفنت خديجة رضي ا عنها)) . قال في قوله تعالى : الاّ أمم أمثالكم .. ما في الارض آدمي الا وفيه شبه من بعض البهائم ، فمنهم من يقدم اقدام الاسد ومنهم من يعدو عدو الذئب ومنهم من ينبح نباح الكلب ومنهم من يتطوّس كفعل الطاووس ، ومنهم من يشبه الخنزير ، فانه لو ألقي اليه الطعام الطيّب تركه واذا قام الرجل عن رجيعه ولغ فيه ، وكذلك نجد الادميين من لو سمع خمسين حكمة لم يحفظ واحدة منها فإن أخطأت مرة واحدة حفظها ولم يجلس مجلسا الا رواه عنه .. ثم قال : فاعلم يا بنيّ انك انما تعشر البهائم والسباع فبالغ في الاحتراز . قال المحدث القمي بعد نقل هذا الكلام أقول وأحسن من هذا ما قال أمير المؤمنين عليه السلام : " ان الاشرار يتتبّعون مساوىء الناس ويتركون محاسنهم كما يتتبّع الذباب المواضع الفاسدة من الجسد ويترك الصحيح ") . واشتغل بعيب نفسك واصفح عمّا لا يعنيك حاله وأمره واحذر أن تفني عمرك لعمل غيرك ويتّجر برأس مالك غيرك وتهلك نفسك فإن نسيان الذنوب من أعظم عقوبة ا تعالى في العاجل وأوفر أسباب العقوبة في الآجل وما دام العبد مشتغلا بطاعة ا تعالى ومعرفة عيوب نفسه وترك ما يشين في دين ا فهو بمعزل عن الآفات خائض في رحمة ا عز وجل يفوز بجواهر الفوائد من الحكمة والبيان وما دام ناسيا لذنوبه جاهلا لعيوبه راجعا إلى حوله وقوته لا يفلح اذا أبدا " .

ان مقاصد الحديث الشريف وان اتضحت في الجملة في البيانات السابقة ولكن الاشارة إلى بعض اشاراته بعنوان شبه الترجمة موجب لصفاء القلوب .

يقول الامام عليه السلام: أزين اللباس للمؤمنين هو لباس التقوى وألطفه لهم هو لباس الايمان، كما قال ا تعالى: ولباس التقوى ذلك خير .. وأما لباس الظاهر فهو من نعم ا تعالى فانه يستر عورة بني آدم ، وهذه الكرامة كرامة خاصة لذرية آدم عليه السلام ولم يعطها سبحانه إلى سائر الموجودات ولكن المؤمنين يصرفون هذه النعمة ايضا في أداء الواجبات الالهية ، وخير لباسك ما لا يغفلك عن ا ولا يشغلك بغير ا بل يقربك إلى شكره وذكره وطاعته ، فلا بد لك أن تحترز في مادة اللباس وهيئته مما يوجب الغفلة والبعد عن ساحة قدس الحق وتعلم أن في اللباس بل في جميع الامور العادية أمورا تغفل الانسان عن الحق وتشغله بالدنيا وتؤثر في قلبه الضعيف تأثيرات السوء وتبتله بالعجب والرياء والتزين والفخر والكبر وكل ذلك آفات للدين وموجبة لقسوة القلب، واذا لبست اللباس الظاهر فتذكر ان ا تعالى ستر بساتر رحمته ذنوبك ومعاصيك ، وكما أنك لبّست ظاهرك باللباس الظاهري فلا تغفل عن الالبسة الباطنية ولبّس باطنك بلباس الصدق ولا بد لك أن تجعل باطنك في ستر الخوف والرهبة وظاهرك في ستر الطاعة وتعتبر من فضل ا تعالى حيث أنه تعالى أعطى اللباس الظاهر كي تستر به عيوبك الظاهرة وفتح لك أبواب التوبة والانابة كي تستر بها العورات الباطنية التي هي المعاصي والاخلاق الذميمة. ولا

تفضح أحدا كما أن الله سبحانه لم يفضحك فيما أهو أعظم واشتغل بعيب نفسك كي ينفتح لك باب الاصلاح واصفح عما لا يكون معينا لك (اقول : ويمكن أن يكون الاشتقاق من عني فيكون المعنى : واصفح عما لا يفيدك والمعنيان متقاربان) واحذر ان تفني عمرك لعمل غيرك وتكتب نتيجة أعمالك في صحيفة أعمال غيرك ويتّجر الاخرون برأس مالك وتلقي بنفسك إلى الهلاك لان نسيانك ذنوبك من أعظم العقوبات التي ابتلى الله تعالى الانسان في الدنيا بها لانه اذا نسي ذنوبه لم يقم بإصلاح نفسه ، ونسيان الذنوب من أوفر أسباب العذاب في الاخرة وما دام العبد مشتغلا بطاعة الحق عز وجل ومشغولا بمعرفة عيوب نفسه وتاركا للامور التي هي عيب في دين الله فهو بمعزل عن الآفات وغائص في بحر رحمة الله وفائز بجواهر الحكمة والبيان ، وما دام العبد ناسيا ذنوبه وجاهلا بعيوبه ومعتمدا على حوله وقوته لا يحصل له الفلاح أبدا .